

مقاربات عربية في ضوء منظور تحليل الخطاب

م. د. كريم صالح محسن البديري

تربية واسط

Arab Approaches in Light of the Discourse Analysis Perspective

DR. Kareem Salih Mohsen

Wasit Education / Ministry of Education

kareemsalih78@gmail.com

المخلص

تحليل الخطاب بوصفه منظورًا بحثيًا متعدد المناهج وفقًا لمقارباته الغربية، وفي الإجراء العربي هو بحاجة إلى تقويم منهجي تبعًا لما استقر من مفاهيم تحليلية لهذا المجال البيئي في الدرس العربي، وهنا تكمن إشكالية البحث. تسعى هذه الورقة البحثية لكشف الأطر النظرية والتطبيقية التي اتخذها الباحثون في مؤلفاتهم مسارًا أُلزموا أنفسهم بها، وهل يمكن عدّها مقاربات عربية تصبّ في مجال تحليل الخطاب بتوجهاته العربية، بناءً على امتداداته الغربية؟، وأنموذج البحث هما دراستان: الدراسة الأولى: (البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب) د. محمد بازي، والثانية (من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب) د. عبد الله بن محمد المفلح، ووقع الاختيار على هاتين الدراستين، لكونهما تمثلان مقاربتين عربيتين، قد اجتهد فيها الباحثان لإيجاد مقارنة عربية تنطلق من المفاهيم الغربية لتحليل الخطاب العربي. (مقاربات، عربية، تحليل، الخطاب)

Abstract

Discourse analysis, as a multi-method research perspective grounded in Western approaches, requires a methodological evaluation when applied in the Arab context, in accordance with the established analytical concepts of this interdisciplinary field within Arab scholarship. This constitutes the central problem of the present study. This paper seeks to uncover the theoretical and practical frameworks that researchers have adopted in their works, frameworks to which they adhered, and to examine whether these can be considered Arab approaches contributing to discourse analysis in its Arab-oriented applications, based on its Western extensions. The study focuses on two specific works as illustrative models: *Structural Contrasts: New Maps for Discourse Analysis* by Dr. Muhammad Bazi *From Discourse Analysis to Discourse Construction* by Dr. Abdullah bin Muhammad Al-Muflih These two studies were selected because they represent two Arab-centered approaches, where the researchers endeavored to develop an Arab perspective derived from Western concepts of discourse analysis for the Arab context. (Approaches, Arab, Analysis, Discourse)

المقدمة

جاءت الدراسة على ثلاثة مطالب: الأول خُصص لمفهوم تحليل الخطاب، ومقارباته المعرفية التي تكون منطلقًا لتحليل النصوص في ضوء سياقات إنتاجها، وعلاقتها بمنتجها وامتداداتها المعرفية، وما يمكن بناؤه من معنى يكمن خلف تلك الخطابات. والمطلب الثاني يبحث دراسة البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، والمطلب الثالث يقوم بتحليل دراسة من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب، إذ يقوم البحث بعرض للدراستين، وتحليل أهم المفاهيم التي أفاد منها الباحثان في مجال بحثهما، وعرض أهم النتائج التي توصل لها البحث.

المطلب الأول / تحليل الخطاب المفهوم والمقاربات

تحليل الخطاب هو مجموعة من الإجراءات التحليلية التي تندرج تحت مقاربات معرفية مبنية وفقًا لمنظور علمي متعدد المناهج، وتعتمد -هذه المقاربات- على مفهوم الخطاب بمعناه الواسع، ويقوم على نظريات لسانية وخطابية، وأخرى اجتماعية ونفسية وتاريخية...، بحسب ما يتطلبه التحليل، والهدف منه بيان أثر الخطاب في مجالات حياة الإنسان بمستوياتها المتعددة. ¹ يعتمد تحليل الخطاب -بوصفه منظور متعدد المناهج- على مرجعيات فكرية متعددة، وبالتالي هو عرضة لعدم الاستقرار؛ لأنّ المشتغلين في هذا المجال تختلف توجهاتهم المعرفية، بحسب اهتماماتهم

الاجتماعية أو النفسية أو اللسانية، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن مقاربات تحليل الخطاب -هي كذلك- عرضة لعدم الاستقرار تبعاً للتغيرات الفكرية المؤثرة فيها^٢، فمثلاً المدرسة الفرنسية توجه ذو بعد لساني متأثر بالتوجهات الماركسية والتحليل النفسي، والمدرسة الأنجلوسكسونية التي تهتم بالبعد التداولي والتفاعل الاجتماعي، وربط الأشكال اللغوية بالأغراض والوظائف^٣، وقد تفرغ عن هاتين المدرستين مقاربات متعددة تبعاً لتوجهات الباحثين واهتماماتهم^٤. وعليه يمكن القول أن مقاربات تحليل الخطاب تتنوع بحسب اهتمامات الباحثين وتوجهاتهم الفكرية، والغاية من الاهتمام باتجاه معرفي معين وإبرازه على الاتجاهات الأخرى في التحليل، وهذا يتعلق بظواهر اجتماعية تفرض نفسها على الباحثين.

أولاً/ المدرسة الفرنسية: يورخ لظهور هذا الاتجاه المشتغل في مجال تحليل الخطاب بستينيات القرن الماضي، إذ انتقل البحث في الخطاب من المعنى إلى البحث في دوافع تشكله، واختلاف المعاني وتعارضها بحسب سياقات إنتاجها، وطريقة تداولها من قبل طبقة اجتماعية معينة، كل هذا وغيره وأد حاجة إلى منظور بحثي يحوي منهجيات تلبى هذه التطلعات. اهتمت المدرسة الفرنسية بالعوامل الخارجية المؤثرة في إنتاج الخطاب، وعدته من مكوناته الرئيسية مع مكونه اللساني، فمحور ما يدخل في دائرة بحثها هو علاقة العلامات بالمجتمع. إنَّ البحث - وفقاً لمنظور هذه المدرسة- مبني على علاقة ما هو أيديولوجي بما هو لساني، وقد اتخذ البحث في الخطاب مسارين: أولهما حصر البحث بالمكونات اللسانية، والثاني ربط الأيديولوجيا بالخطاب وفقاً لمفهومها عند ألتوسير، إذ يرى أنها ترتبط باللاوعي؛ مما ترك أثراً كبيراً في تبني هذا المنظور في تحليل الخطاب السياسي آنذاك. ويعد ميشيل فوكو -بأفكاره الفلسفية- من أبرز منظري هذه المدرسة، فقد أعطى اهتمامه لتاريخ المعرفة والسلطة، وحدد ما ينبغي تحليله من الخطاب، وهو وصفه الأحداث الخطابية^٥.

أهم المقاربات الفرنسية في تحليل الخطاب:

١- التحليل المعجمي، وذلك بالربط بين اللفظ والتوجه السياسي عن طريق الإحصاء، مع التحليل السيميائي، والاستعانة بدلالة الألفاظ المعجمية، ومن أبرز المشتغلين بها منغون.

٢- التركيبية، وتعتمد على التعالق الحاصل بين الوحدات اللغوية بتحليل لساني، إذ تتحدد قيمة الوحدة اللغوية بتوزيعها، ومن ثم اختيار الوحدات المعجمية التي تمثل وضعية اجتماعية خارجة عن الخطاب وتمثلها أعمال جان ديويوا^٨.

٣- الآلية، وتعتمد على مقترحات ميشيل بيشو في تحليل الخطاب عبر الإجراءات الإعلامية الآلية (أي تفكيك الخطاب إلى وحدات معلوماتية قابلة للحوسبة)، وعلى لسانيات هاريس، وعلى نظرية كلية التأويل^٩.

ثانياً/ المدرسة الأنجلوسكسونية، من أهم الأسس التي قامت عليها هذه المدرسة هي الأبحاث التداولية الأمريكية، وأعمال الفلاسفة التحليليين (ومنها نظرية الفعل الكلامي)، وذلك بدراسة مكونات السياق المتعددة، والاهتمام بالوظائف اللغوية متأثراً بنظرية التواصل ل(رومان جاكسون) وأعماله، وكان للسانيات زليغ هاريس الأثر الأكبر في تكون ملامح هذه المدرسة^{١٠}، وقد ارتكز البحث لدى الأمريكيين على فحص القواعد المنظمة للتفاعلات والمحادثات بين الفاعلين^{١١}. إن تحليل الخطاب من وجهة نظر هذه المدرسة هو ((تحليل للغة في الاستعمال، لذلك لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيداً عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس، ...، فإن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل اللغة من أجله))^{١٢}. أفادت هذه المدرسة من تركيزها على وظائف اللغة من اللسانيات الوظيفية التي بدورها - تهتم بالاستعمالات الحقيقية للغة في ضوء سياقها الاجتماعي^{١٣}.

أولاً/ البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، محمد بازي

ومن الباحثين من وجه بوصلة تحليل الخطاب نحو النص القرآني، بمقاربة بحثٍ بسبب قناعاته المعرفية - مستوحاة من الثقافة العربية الإسلامية^(١٤)، وفي هذا الباب نقد محاولة محمد بازي في كتابه (البنى التقابلية خرائط جديدة في تحليل الخطاب) أنموذجاً لتحليل الخطاب القرآني بصفته الدينية يعتمدُ بازي في محاولته على بناء مفهوم تحليل الخطاب انطلاقاً من متبنياته التأويلية القائمة على الوصف، فموضوعه الخطاب بمعناه الموسع على وفق منهج عملي يستند إلى التوصيف والتحليل، وكشف العلاقات، والربط بالمرجعيات والسياقات، وذلك للوصول إلى البنى والأنساق المؤسسة، مما يؤدي إلى استثمارها في تقريب موضوع الخطاب للمعنيين به، أو الخطاب، بهدف تقريب موضوعه للمعنيين به، أو استثمار أنظمتها في بناء نماذج معرفية^(١٥). وفي إطار التحليل التقابلي الذي يسعى بازي لتثبيت الجدوى منه يقول: ((مكنت المفاهيم المقترحة من استخلاص المبادئ المتحركة في بنية النص، والكشف عن البنى التقابلية الظاهرة والعميقة، وقد قصدنا التنوع في النصوص والخطابات لتأكيد البعد البنوي الخفي للتقابل باعتباره تجلياً لاشتغال ذهن البشري، وتفاعله مع الكون المتقابل في أبعاده المادية والمعنوية))^(١٦)، وبالتالي تتبني افتراضات بازي - في مقاربتة التقابلية - على اشتغال ذهن تبعاً لتشعب المعارف وترابطها في الذهن، وأثر كل منها في تحقق الفهم، وهذا ما حاول بازي إثباته

بالاستعانة بالمناهج التأويلية في التفسير عند القدامى، وما استجد -آنذاك- من مناهج الفلسفة وعلم الكلام، فهي -في نظره- عملية بحث عن المعنى بمناهج معرفية متعددة. ^(١٧) وتتخذ المقاربة التقابلية اللغة المدونة أو اللغة بصفتها الخطابية أو الرموز والصور وسيلة للوصول إلى فهم المعنى، إذ يتم الاهتمام بالبعد الفكري أو حمولات الخطاب الكاشفة عن التقابلات المنطلق أو الهدف، أو البنى المتقابلة التي تبين علاقة ما، من نحو التصارع، التجاور، التكامل، النبذ... إلخ. ^(١٨) وبالتالي يتحقق الفهم بتقارب أطر معرفية شتى، وعرض هذه الأطر على بعضها، والنظر في خصائصها ومكوناتها، والمتغير والثابت منها، بمنهجية تتخذ طابع المقارنة والمقابلة، أو العرض، أو التوصيف، أو التأويل، وذلك من منظور أنّ التقابل نظام فكري قائم في كل المجالات المعرفية، فكان بحثه معتمداً على النص القرآني بتصورات تقابلية تأويلية. ^(١٩) ويضيف بازي أنّ التحليل - على وفق مقاربه - يستدعي المعرفة والفكر للكشف عن (التقابل النووي) ^(٢٠) المؤسس للخطاب بغية الوصول إلى البنية المؤسسة لتفكير منتج الخطاب، ((وهي الخطاظة الذهنية المنطلق، والمشكلة للتقابل المنطلق، والتي يفصح عنها الخطاب جزئياً أو كلياً)) ^(٢١)، التي يتم عبرها كشف مقاصد منتج الخطاب، وعليه يتم تعيين التقابلات المكملة للتقابل الرئيس وتجميعها، إذ ((إنّ كلّ تقابل في البنية السطحية له ما يقابله في البنية المعرفية الكبرى التي يعتبر النصّ امتداداً لها، أو اختزالاً.. وهكذا يجد كلّ عنصرٍ في الخطاب المعرفي ما يقابله في البنى المعرفية والثقافية والاجتماعية والتاريخية والحضارية والعلمية، فيحصل الترابط والتعلق بين البنيات المتقابلة المختزلة في الخطاب، وبين مماثلاتها أو مكملاتها أو موازياتها في الشبكة المعرفية التي يحيل عليها، فيكون دور محلل الخطاب بالتقابل هو العبور من مشيرات النص إلى المصادر المعرفية الموسعة، وإحداث التجاوب بين النصّ والأطر المعرفية المتحكمة فيه وفي منتهه)). ^(٢٢)

المنهجية التقابلية وتحليل خطاب

يرى بازي أنّ التقابل بوصفه مقاربة لتحليل النصوص والخطابات يستند على بيان الأسس التقابلية بما يتلاءم مع إدراك الإنسان للعالم، فهو تيسير للإدراك وتحقيق للتفاعل بين موضوع الخطاب والمُخاطبين، وتبعاً لما تقدّم يجد بازي أنّ ((على محلل الخطاب بالتقابلات، واستراتيجية التقابل أن يبحث عن خصوصيات الخطاب الذي يشغل عليه، وأن يحدد موقعه التحليلي والتأويلي والمعرفي اعتماداً على الوصف بالتقابل: كيف ولماذا هذا العنصر يقابل ذلك؟ والعلاقات الظاهرة والخفية، ثم التأويل بالتقابل: الخلوصل إلى المعاني المتوصل إليها بتوصيف التقابلات الممكنة كما تسمح بها المكونات اللغوية، والتقابلات الكائنة بالفعل في البنية الأفقية أو البنية العميقة، وتحليلها وفهمها)). ^(٢٣) أرسى بازي دعائم نماذجه التطبيقية على آيات قرآنية، حيث يستند في تطبيق مقاربه عليها في ضوء اقتباسات من مفسري القرآن الكريم ^(٢٤)، بل يدرج أحياناً بتفسيره التقابلي إلى ربط المعنى الذي يتوصل إليه بمعنى ذكره أحد المفسرين ^(٢٥)، وقد استعان بمجموعة مفاهيم قرنها بنظريته التقابلية، ومنها:

أولاً/ الاستعارة، يقول: ((سننطلق من بعض الآيات القرآنية التي حضرت فيها الاستعارة، ومحاولين استثمار المفاهيم التقابلية لإظهار بلاغة الاستعمال القرآني للاستعارة، وكيف حصل ثراء المعنى بتجاور الاستعارات وتضامها في كلية مقصدية واحدة)) ^(٢٦)، ومن هذا نجد أنّ الاهتمام ينصب على الكشف عن تناسب الاستعارات وتعلقها في إثراء المعنى بما يظهر على مستوى البنية النصية، أو عبر تأويله بناءً على ما يترتب بالذهن باستحضار مفاهيم استعارية تقابلية كامنة في البنية العميقة. ^(٢٧)

ثانياً/ الأمثال القرآنية: وظّف بازي المثل القرآني بما يحمله من تصور تقابلي يكون ذا وقع في عملية التواصل والتأثير في النفوس ^(٢٨)، والبحث في هذا الاتجاه اتخذ منحىً بيانياً يكشف عن بلاغة الأمثال، ودقة التمثيل والتصوير، ومساهمته في إغناء التأويل وانسجام النص القرآني، فالبحث اتجه لبيان جمالية سبكه النصي وانسجامه، وثرانه بمعانٍ متعددة تبعاً لمقاصد تأويلية. ^(٢٩)

ثالثاً/ السياق: جعل محمد بازي السياق عنصراً فعالاً في تطبيق نظريته التقابلية على أنموذج تحليلي، وهي الآية القرآنية ((وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء ألقعي وغيض الماء وقضي الأمر وأستوت على الجودي وقيل بعداً للظالمين)) ^(٣٠)، فالتأويل يقتضي تعضيد التحليل بالسياق (الموسع) اللغوي أو التاريخي أو الاجتماعي أو المعرفي ^(٣١)، يقول بازي: ((يدعونا الفهم بالتقابل إلى استحضار البنية المتوسطة القريبة المقابلة لهذه البنية الصغرى، وهي المساق النصي والخطابي الذي وردت فيه... حيث نجد تفصيلاً لقصة نوح عليه السلام، وهذا المساق المقابل مؤطر بدوره بمساق السورة الكلي، فهو بمثابة تقابل مؤطر، يتضمن مشيرات عن تأكيد الدعوة المحمدية وتأسيس النبي (صلى الله عليه وسلم)، وشدّ عزمه للمضي قدماً)). ^(٣٢) تتعلّق المستويات التخاطبية في تحليل بازي للآية [٤٤: هود] ليكون بعضها سياقاً شارحاً لبعض، إذ ((تندرج السورة الكريمة بالقارئ من مستوى عام إلى مستوى خاص، ومن الحاضر إلى الماضي (زمن الدعوة المحمدية) ثم الماضي البعيد (عهد نوح)، ثم تؤوب به إلى نفسه، عبر تقابلات وتوجهات خطابية دالة، ليكون ذلك عبرة له، ومجالاً للتأمل والتفكر في هذا الزمن المتراخي الأمد)). ^(٣٣)

رابعاً/الذهن: يُعدُّ إعمال ذهن المتلقي للخطاب عنصراً معرفياً مهماً في ملأ ما لم يقله المتكلم -عن وعي أو من دونه- في خطابه، حيث يشتمل التحليل الذهني على الخبرة المتراكمة لدى طرفي الخطاب، وهذا ما استعان به بازي في تطبيقه على الآية المذكورة، وذلك بتتبع ذكر قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم، والتوصل إلى أنّ اشتغال ذهن في مجال القصص القرآني دلالاته الواسعة من إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وآله)، وصدق الرسالة السماوية، وما يمثله ما حلّ بالأُمم الأخرى من عقاب بوصفه رادعاً للأُمم التالية... وغير ذلك من الدروس المستلهمة من هذا الأسلوب، عن طريق العلم بقصص الأُمم البائدة، ويأتي هنا أسلوب تفصيل قصة نوح في سور معينة، ويتمّ الاكتفاء في مواضع أخرى بإجمال تلك الحوادث، وهذا يؤدي إلى بناء أطر ذهنية نتيجة تفصيل الأحداث في سور سابقة، وهذا ((يكون النصّ الذهني الكلي للقصص القرآني عند قارئ القرآن أو المستمع إليه. فكلما تعلق الأمر بقصة سبق ذكرها مفصلة، ثم أُعيد ذكرها ملخصة، تحضر في الموقف الثاني التفاصيل المعروفة التي أصبحت جزءاً من المعرفة الخلفية لتحقيق كمال الفهم. ومعنى هذا أنّ النص اللغوي ينتهي إلى نص ذهني عابر للنصوص))^(٣٤) ومما تقدم من تنظير للمقاربة -التقابلية- المقترحة باعتماد نماذج تطبيقية من القرآن الكريم يمكن القول:

١- هل من الممكن إخضاع النصّ القرآني لمناهج معرفية تصلح لتحليل الخطاب اليومي أو الرسمي عبر البحث عمّا هو مخبوء وراء الخطاب من نزعات أيديولوجية أو متبنيات اعتقادية، وإبراز مواطن تزييف الحقائق؟ وهذه هي القواعد الأساس لتحليل الخطاب.

٢- أما الأطر المعرفية -التي يراها الباحث- متحركة في إنتاج النص وفي منتجه لا تنطبق على كلام الله؛ لأنه يتجاوز الأطر المعرفية للبشر بحقائقه التي يدركها العقل، أو الغيبيات التي تتجاوز إدراكه، إذ لا يمكن قياس ما يمكن تطبيقه على كلام البشر أن يكون المقياس عينه على النصّ القرآني.

٣- مقارنة بازي التقابلية تنقذ إلى وضع مفاهيم محورية للتحليل عدا الاهتمام بمفهوم التقابل بوصفه محوراً أساساً لتفسير النصوص وتأويلها بالاستعانة بعلاقتها الخطابية، إذ يقول: ((أنّ النصّ ليس إلا صورة لغوية كاملة ونهائية لتلك البنية الذهنية التي يحكمها التقابل في العمق))^(٣٥)، فالتحليل على وفق مقارنة بازي اهتمامه الأول والأخير النص بما يحمله من معانٍ ناتجة عن تفسيره وتأويله^(٣٦)، وهذا التصور يتعارض مع مفاهيم تحليل الخطاب حيث إنّه يهتم بما يكمن وراء النص أو مخبوء فيه، والدوافع المؤدية إلى إنتاجه، فالبنية النصية ليست إلا منطلقاً لتحليل الخطاب، فالنصّ لا يعكس الصورة الذهنية الكاملة لمنتج الخطاب، بل يمثل جزئية تحتاج لتضافر مجالات غير لغوية، وهنا تبرز وظيفة تحليل الخطاب.

٤- تبنيت الدراسة أقوال المفسرين نماذج مساعدة في عملية شرح الآيات القرآنية، وإثبات صحة ما يطرحه الباحث في بعض الوجوه التأويلية التي طرحها المفسرون، وكأنما ما قاله المفسرون يصبُّ في حقل تحليل الخطاب بوصفه تخصصاً يبحث في استعمال لغة الاستعمال الإنساني للتعبير عن الرغبات والحاجات والمطامع، وما يضمرونه من مكونات النفس البشرية، والكيفية التي يعبرون فيها عن توجهاتهم في الخطاب.

٥- إنّ عملية خلط المصطلحات لا تليق بتطلعات الباحثين في الاتفاق على مفاهيم معينة، إذ يجب الاحتفاظ بما هو عربي أصيل منها، وعدم مزجه أو جعله مرادفاً لمصطلحات غريبة وافدة؛ وذلك لاختلاف المفاهيم الدالة عليها، وهذا ما نجده عند محمد بازي فمقارنته التقابلية هي محاولة تصب في تفسير القرآن الكريم، لا في تحليل الخطاب على وفق مفهومه الغربي.

٦- لقد تنبه الباحثون القدامى والمفسرون أنّ للقرآن الكريم آليات بحث تخصّ هذا النصّ المقدس في ضوءها يتمّ تفسيره^(٣٧)، فما يصلح لتحليل الكلام البشري لا يصلح لتفسير أو تحليل الكلام الإلهي تبعاً لاختلاف الأهداف والغايات والمقاصد.

٧- تمثل محاولة بازي إطاراً معرفياً لتفسير القرآن الكريم أو النصوص البشرية، وذلك باتخاذ المنهج التقابلي محوراً للبحث، حيث يستند الباحث في تنظيره إلى التراث الثقافي العربي لتدعيم تنظيره وتحليله، فهي محاولة جادة لتحليل النصوص والبحث عن تأويلها، وتحصيل الفهم منها عبر تضافر عناصر لغوية ومعرفية.

٨- يمكن تبني التقابل بوصفه إحدى الاستراتيجيات المتبناة في تحليل الخطاب، ويتمّ ذلك بناءً على توسيع المتناقضات، وربطها بعضها ببعض في التحليل، وبيان الكيفية التي تم بها بناء الخطاب، إذ يكون للتقابل أهمية في عملية بناء الخطاب عبر استحضار المتناقضات صراحةً أو ضمناً.^(٣٨)

٩- إنّ عملية طرح منهجية التقابل بجعلها مقارنة -بعينها- لتحليل الخطاب لا يمكن القبول بنتائجها، في ضوء القواعد الأساسية والنظرية والمنهجية -على وفق مفاهيمه الغربية- لتحليل الخطاب إلا في حال القول بأنّها اجتهاد خارج إطار مفاهيم تحليل الخطاب.

ثانياً/ من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب، عبد الله بن محمد المفلح:

لم تقف الأبحاث العربية في مجال تحليل الخطاب عند تحليل مكوناته اللغوية والمعرفية والاجتماعية، بل اتجهت لدراسة كيفية إعادة بنائه، عن طريق تحديد القنوات والقيم البديلة بتوظيف اللغة، والهدف من إعادة البناء هو إحداث تغيير اجتماعي على مستويات متعددة، منها تربوية وتوجيهية وترويجية... إلخ^(٣٩)، وفي مجال إعادة بناء الخطاب ستكون محاولة عبد الله بن محمد المفلح أنموذجاً تطبيقياً، وذلك عبر البحث في المفاهيم والآليات التي وظفها الباحث في هذا المجال. حدد الباحث أنواع الخطابات المراد إعادة بنائها، وحصرها في الخطاب التربوي، والخطاب التوجيهي، والخطاب التسويقي، والخطاب العلاجي، إذ يتم تحليل الخطاب المستهدف بتحديد اللغة الواجبة (لسانية، سيميائية)، وما تحمله من قيم وقناعات ومفاهيم، ومن ثم إحلال قيم وقناعات ومفاهيم جديدة مصحوبة بتغيير لغوي يساهم في إعادة البناء. (٤٠)

١- مفاهيم لتحليل الخطاب وإعادة بنائه

يولي عبد الله المفلح في تنظيره أهمية لخمسة عناصر متضمنة في الخطاب - كما يرى - ويسعى من خلالها لتحليل الخطاب، وتقديم صورة أخرى له بتغيير هذه العناصر مصحوباً بإعادة صياغة لغوية وهي:

أ- **القيم الخاصة:** وهي حالات شعورية في اللاوعي مفروضة على الشخص من محيطه الاجتماعي من نحو الأسرة والتعليم والمجتمع، فهذه القيم تكون معياراً للإنسان لتحديد الجيد والرديء. وعلى مستوى الخطاب تمثل القيم نظاماً من إشكاليات الذاتية والوجدان والتوجهات المضمنة في الخطاب، إذ يحددها الاستعمال اللغوي في سياق وزمان معينين، أو يستثير قيماً جديدة^(٤١)، ((والقيم تخفي نفسها في الخطاب، وتحديدتها يحتاج إلى تفكير وتأمل في النص وعناصره اللغوية وموضوعه ومضامينه، ولا تظهر في صورة تعميمات في جمل محددة يمكن تحديدها واستخراجها وتحليلها بعد ذلك - كما يمكن ذلك في القنوات - فالعوامل النفسية في إنتاج النص وتلقيه أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل. والقيمة في النص هي جزء مهم من الغاية التي يسعى كل منتج خطاب لبلوغها))^(٤٢)، فالقيم هي الموجه الأساس للاختيار بين خيارات متعددة، وعليه تنقسم القيم إلى: قيم جوهرية، وتكون متأصلة في الإنسان يصعب تغييرها، من نحو الأخلاق الفاضلة، وقيم الوسيطة، وهي فردية تكون عرضة لسوء الممارسة، وقابلة للتغيير، من نحو النظام، والسيطرة، والشهرة، والمتعة... إلخ. (٤٣)

ب- **القنوات:** وهي نظام خاص من التعميمات والأحكام تُعبر عن مواقف صاحبها لحظة نطقه بها، حيثُ تتحكم فيما يجب قوله أو فعله، إذ تتحكم القنوات في بناء الخطاب عن طريق المجال المعرفي، فتتجسد في شكل بنى سطحية أو أساليب أسلوبية، ((وتسعى القنوات لتحقيق قيمة معينة للشخص، فكل قيمة متحدة مع عدد من القنوات المحققة لها؛ لتشكل الطريقة التي يتصرف بها. وإذا كانت القيم تحدد ما يرغبه الشخص وما لا يرغبه، فالقنوات تحدد نوع الفعل الذي يجب اتخاذه لكي يحقق الشخص ما يريد ويتجنب ما لا يريد))^(٤٤). وتختلف القنوات بحسب مضمونها، فمنها ما يكون متعارفاً على صحته نحو: (الصدق منج)، ومنه ما يكون محايداً مثل: (الجلوس في مقدمة الصف يجعلني أفهم)، ومنها ما يتصف بالتقييد (القنوات المقيدة)، وتتعلق بالاستحالة (هذا غيرممكن)، أو بالعجز (هو لا يستطيع)، أو عدم الاستحقاق (هو لا يستحق هذا). (٤٥)

ج- **المفاهيم:** وهي صورة ذهنية ناتجة عن اجتماع معلومات تخص شيئاً أو معنى مصحوبة بموقف مبدئي، ويرتبط المفهوم بالتصور الذاتي عبر ما يتكون لدى الشخص من تميز لشيء يختص به عنده، وقد يتحول المفهوم إلى قناة مؤثرة في السلوك بفعل تأصله في النفس. (٤٦)

د- **الافتراضات:** وهي ما يجيزه العقل من تعميمات وافتراضات سواء أطابقت الواقع أم لم تطابقه^(٤٧)، وتبرز أهمية الافتراضات في عدها خطاباً كاشفاً عن فكر منتج الخطاب، الذي ترجّحت لديه أكثر من فكرة افتراضها في الخطاب، وبهذا يكون لدى المتلقي باب لترجيح رأي من افتراضات متعددة بناءً على ما يتوافر له من عناصر لغوية وغير لغوية. (٤٨)

هـ- **المعارف:** وهي المعرفة المشتركة لمجموعة أشخاص -على اختلاف العدد- بشيء ما، من معلومات وأدلة وبراهين وتعليقات وارتباطات واستنتاجات عامة، وإجراءات تحليل الخطاب أولت هذا الجانب اهتمامها ببحثها المعرفة المتحصلة من الخطاب عن طريق ما ينتجه الخطاب من معلومات جديدة ومسلمة، والإحالة إليها وإلى الأطر والعنوان، وترتيب المعلومات وتسلسلها. (٤٩) ويمكن أن تختلط الحدود بين هذه العناصر - المتضمنة في الخطاب - مع بعضها البعض وتمتدح أطرها أحياناً، ف((قد تتداخل الافتراضات والمعارف والقنوات، فإن قيلت تلك الافتراضات من باب الاستدلال والدعم البرهاني، فهي داخلة في المعارف، وإن فهم من سياق الكلام أنها قد تكون قنوات خاصة مخفية طُرحت في سياق الافتراض لقياس رد فعل المتلقي فهي قنوات خفية، وفي تحليل الخطاب يكون التركيز على أبعاد هذا الإخفاء ونتائجه، وقد تتداخل القناة ظاهرياً مع الافتراض، مع أن بينهما فرقاً جوهرياً، فالافتراض يتعلق بتصرف واحد غير ممتد، أما القناة فهي تعميم ينتج عنه، وينطلق عنه عدد كثير من التصرفات، وقد تستمر القناة طويلاً في عقل الإنسان، وتتحكم في كثير من تصرفاته))^(٥٠) أما المفاهيم والقنوات فقد تتلاقى من حيث

المفهوم والدلالة، ألا إنها تفتقر في كون المفاهيم ليست راسخة في النفس حيث تتغير بسهولة بحسب تطور النظر إليها، في حين تكون القناعات أكثر رسوخاً، ويصعب تغييرها. (٥١)

٢- إجراءات بناء الخطاب يعتمد الباحث على مجموعة من الإجراءات لإعادة بناء الخطاب بتحديد نوع التغيير المطلوب، وذلك بإبراز عناصر (قيم وقناعات ومفاهيم) جديدة موجودة يتضمنها الخطاب، حيث يتمّ تميّتها وتطويرها، ويحتاج هذا البناء إلى لغة جديدة تتناسب مع التغيير المقصود، واللغة مصحوبة بنبرات صوت وحركات جسدية قادرة على حمل هذه العناصر. (٥٢) إن اللغة الأثر الأكبر في بناء الخطاب أو إعادة بنائه بتوظيف أساليب لغوية تجعل من الخطاب أقل حدة، من نحو: الانتقال من التعميم إلى التخصيص بالتدرج والعكس، ويمكن الحدّ من استعمال أساليب النهي والأمر والقصر بتغييرها أو إلغائها، والتخفيف من استعمال أسلوب الشرط أو فكّ طرفيه، كما يمكن ترك التعالق السببي في البناء الجملي، وتغيير أو إلغاء المفردات والتراكيب المشحونة بالأحكام الخاصة، وتغيير النفي إلى الإثبات أو العكس، ويمكن للإسناد أن يخدم تخفيف حدة الخطاب بتغيير أحد طرفيه، أما زيادة حدة الخطاب فتكون باستعمال الأساليب المتقدمة بشكل معاكس. (٥٣)

٣- الأمثلة التطبيقية اختار الباحث مقولات تربوية، وأخرى اجتماعية دارجة في الاستعمال سارية مسرى الأمثال، فقد دأب في تحليله لها على إخراج العناصر المضمنة فيها (قيم ومفاهيم وقناعات) مع اللغة الحاملة لها، بوصفها أساساً -عنده- لتحليل الخطاب، وتحديد ما يساعد في إعادة بناء الخطاب على وفق تغييرها (٥٤)، ومثال ما حلله من مقولات تربوية: ((هل تستطيع أن تتحدث أمام الناس: اللغة الواجهة: سؤال عن القدرة على الحديث (هل تستطيع)، تقييد الكلام بالظرف (أمام الناس) القناعة: قدرات الطلاب/الأبناء اليوم ضعيفة المفهوم: فشل الطلاب/الأبناء في الحديث أمام الناس متوقع. القناعة الجديدة: لا تنمو القدرات بدون تعليم وتدريب مدروس. المفهوم الجديد: المحاولات غير الناجحة تطور القدرات. النص الجديد: تستطيع أن تتحدث أمام الناس وتطور نفسك بتجاربك. اللغة الواجهة الجديدة: إثبات القدرات بالحديث أمام الناس (تستطيع)، مع وجود الظرف (أمام الناس)، ورفع المخاوف الطبيعية باقتراح إستراتيجية للتعامل معها (وتطور نفسك بتجاربك)). (٥٥)

٤- بناء خطاب للمجتمع يهتم الباحث كذلك ببناء الخطاب الموجه للمجتمع، وذلك لنشر قيم ومفاهيم وقناعات تعكس متطلبات الحالة الاجتماعية المعاشة، فالخطاب -كما يرى المفلاح- عرضة للتغيير -على مستوى المجتمع أو الفرد- بحسب تغير القيم والقناعات واللغة، إذ تكمن أهمية نشر خطاب اجتماعي جديد في غرس مجموعة قيم إيجابية من نحو: الحوار، وتحمل المسؤولية، وتعزيز التعاون، وبناء الثقة. (٥٦) ومما تقدم يسعى الباحث إلى بناء خطاب اجتماعي موجه، وذلك بتعيين المجال المُستهدف وسماته الخاصة بفئة معينة أو فرد ما، من نحو القيم والقناعات السائدة، وبناء قيام وقناعات جديدة مكانها، مع مراعاة حصر وإذابة الهوية بين القيم والقناعات والمفاهيم والافتراضات والمعارف السائدة، والأخرى الهدف، وهذا التغيير يخضع لتبني لغة واجهة جديدة تكون عاكسة لتلك المكونات. (٥٧) بنى الباحث تطبيقه على خطاب فرد مستهدف (كمثال)، إذ تقوم دراسته بتعيين المجال وسماته أولاً، وذلك بحصر الجوانب السلبية -في نظر الفرد المثال- من الأحداث، ومدى استجابته لها، وكيفية تفاعله معها إيجاباً أو سلباً، وثانياً تحديد الأهداف، التي تبغي تحقيقها بإيجاد نظرة متوازنة للأمور والأحداث ذهنياً للفرد بين الإيجاب والسلب، وبهذا يتم تغيير قيم وقناعات قائمة بأخرى منسجمة مع التغيير المطلوب، وهذا يحتاج لغة تتسجم مع هذا التغيير على مستوى اختيار المفردات، وصياغة الجمل، وتبني أساليب تحمل القيم والقناعات الجديدة. (٥٨)

نتائج الدراسة

١- تحمل هذه الدراسة في مباحثها نتائج مهمة على مستويين: الأول عرض فيه الباحث لمفهوم تحليل الخطاب، وأهم الاتجاهات البحثية في هذا الحقل المعرفي، إذ بين كيفية توظيف الجانب اللساني في عمل تحليل الخطاب، والاستعانة بتوظيف عناصر السياق -بأنواعه- في التحليل، فضلاً على توظيف المجال المعرفي.

٢- أضاف الباحث عناصر متضمنة في الخطاب لأدوات بحثه (القيم، القناعات، المفاهيم، الافتراضات)، وجعلها ركائز أساسية بتوظيفها في التحليل، والوصول إلى غايات وأهداف تصب في إعادة النظر في الخطاب -بأنواعه- على مستويات مختلفة.

٣- تسعى الدراسة إلى إعادة النظر في الخطاب القائم، وتدعو إلى استبداله بخطاب أكثر اعتدالاً يلائم المرحلة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، فتغيير الخطاب عن تبني مفاهيم جديدة تساهم في تنمية الفرد والمجتمع، وذلك بتغيير ما ترسخ من قيم وقناعات وافتراضات لدى فرد أو مجموعة بشرية بأخرى تتسم بالإيجابية، إذ تتخذ الدراسة منحىً تربوياً اجتماعياً لغرس مبادئ عامة في مقولات مستعملة في المجال التربوي والاجتماعي، وفي تنمية قدرات التفكير، وهذا يستلزم بناءً لغوياً خاصاً؛ ليوكب التغيير المنشود على مستوى الألفاظ والصياغة والأساليب والخطاب ككل.

أما النقاط الأساسية التي ينبغي الإشارة إليها في هذه الدراسة فهي:

- ١- ألزمت الدراسة نفسها اتخاذ مجال تحليل الخطاب أساساً لإعادة بناء الخطاب بعنوانها (من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب رؤية في توظيف اللغة أداة للدراسة للتغيير والتطوير))، زد على هذا ما قدمت له من تعريفات لمفهوم تحليل الخطاب، وعرض لبعض آلياته، وطرائق تحليله^(٥٩)، في حين افترق تحليلها لمبادئ تحليل الخطاب بوصفه تخصصاً علمياً، له آليات بحث معروفة للعاملين في هذا المجال، ومرجعيات يمكن سير البحث في هديها.
- ٢- لم يحدد الباحث في مقدمته المنهجية التي يسير عليها في بحثه، أهي منهجية مسبوق بها أم هي اجتهاداً منه.
- ٣- تعتمد الدراسة في مصادرها ومرجعيتها على كتب ذات توجهات تربوية وتعليمية تصب في أغلبها بما يعرف بمجال التنمية البشرية، إذ لم تتل مرجعيات تحليل الخطاب من مصادرها إلا النزر اليسير.
- ٤- خضعت الدراسة في كثير من تحليلاتها لتفسيرات عامة عبر تحديد مضامين الخطاب، ومن ثم صوغ مضامين جديدة، فغالباً تتحكم قناعات الباحث في التحليل، وهذا يتعارض مع عمل محلي الخطاب في تحييد قناعاتهم الشخصية.
- ٥- النماذج التطبيقية كانت مقولات جاهزة، حيث لم يوظف الباحث السياق (المصغر أو الموسع) في تحليلها، بل اعتمد على فهمه الشخصي لها.

هوامش البحث

- ١ - ينظر: تحليل الخطاب في الدراسات العربية الحديثة، أطر تنظيرية ونماذج تطبيقية: ٧٩.
- ٢ - ينظر: معجم تحليل الخطاب: ٤٥.
- ٣ - ينظر: تحليل الخطاب في الدراسات العربية الحديثة: ٨٥، ١٠٣.
- ٤ - ينظر: مقالات في التداولية والخطاب: ٩.
- ٥ - ينظر: التحليل النقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي: ٣٩.
- ٦ - ينظر: في تحليل الخطاب: ١٠.
- ٧ - ينظر: الخطاب سارة ميلز: ٢٩.
- ٨ - ينظر: التحليل النقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي: ٥١.
- ٩ - ينظر: معجم تحليل الخطاب: ٣٩.
- ١٠ - ينظر: التحليل النقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي: ٥٣-٥٥.
- ١١ - ينظر: تحليل الخطاب، يول وبراون: ٣.
- ١٢ - تحليل الخطاب، يول وبراون: ١.
- ١٣ - ينظر: المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب: ١٤١.
- ١٤ - ينظر: البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب: ٣٣.
- ١٥ - ينظر: م. ن: ٤٥-٤٦.
- ١٦ - م. ن: ٥١.
- ١٧ - ينظر: م. ن: ٤٨-٤٩.
- ١٨ - ينظر: م. ن: ٥٢.
- ١٩ - ينظر: م. ن: ٥٦-٥٧.
- ٢٠ - ويقصد به الباحث القصد الرئيس من إنتاج الخطاب.
- ٢١ - البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب: ٥٧.
- ٢٢ - م. ن: ٥٨.
- ٢٣ - م. ن: ٦١.
- ٢٤ - ينظر: م. ن: ٧٨-٨١، ٨٣-٨٥.

- ٢٥- ينظر: ٩٤.
- ٢٦- م. ن: ٧٧.
- ٢٧- ينظر: م. ن: ٨١-٨٥.
- ٢٨- ينظر: م. ن: ١٠٧-١٠٩.
- ٢٩- ينظر: م. ن: ١٤٦-١٤٨.
- ٣٠- هود: ٤٤.)
- ٣١- ينظر: البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب: ١٦٦-١٦٧
- ٣٢- م. ن: ١٦٦.
- ٣٣- م. ن: ١٦٧.
- ٣٤- م. ن: ١٧٥.
- ٣٥- م. ن: ٥٨.
- ٣٦- ينظر: م، ن:
- ٣٧- ينظر: في اللسانيات المعاصرة التواصلية والتداولية ومعايير النص القرآني، صالح القرشي: ٩٥-١٢٠.
- ٣٨- ينظر: استراتيجيات الإقناع في الخطاب السياسي خطب الرئيس السادات نموذجاً، عماد عبد اللطيف: ٢٤٦.
- ٣٩- ينظر: من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب: ١١-١٣.
- ٤٠- ينظر: م. ن: ٨١-٨٣.
- ٤١- ينظر: م. ن: ٥١-٥٢.
- ٤٢- م. ن: ٥٣.
- ٤٣- ينظر: م. ن: ٥٢-٥٣.
- ٤٤- م. ن: ٥٤.
- ٤٥- ينظر: م. ن: ٥٥.
- ٤٦- ينظر: م. ن: ٥٥-٥٦.
- ٤٧- ينظر: م. ن: ٥٦.
- ٤٨- ينظر: م. ن: ٥٧.
- ٤٩- ينظر: م. ن: ٥٨-٦٠.
- ٥٠- م. ن: ٥٧.
- ٥١- ينظر: م. ن: ٥٦.
- ٥٢- ينظر: م. ن: ٨٣.
- ٥٣- ينظر: م. ن: ٨٤-٨٥.
- ٥٤- ينظر: م. ن: ٨٧-١٠٠.
- ٥٥- م. ن: ٨٧.
- ٥٦- ينظر: م. ن: ١٠٩-١١٢.
- ٥٧- ينظر: م. ن: ١١٣-١١٩.
- ٥٨- ينظر: م. ن: ١٢٢-١٢٥.
- ٥٩- ينظر: م. ن: ١٥-٦٠.

المصادر
القرآن الكريم

١. استراتيجيات الإقناع في الخطاب السياسي خطب الرئيس السادات نموذجاً، عماد عبد اللطيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.
٢. البنى النقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، محمد بازي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع/ عمان - الأردن، ط١، ٢٠١٥م.
٣. تحليل الخطاب في الدراسات العربية الحديثة، أطر تنظيرية ونماذج تطبيقية، كريم صالح محسن، دار كنوز، الأردن/ عمان، ط١، ٢٠٢٣م.
٤. تحليل الخطاب، ج. يول و ج. براون، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، منير التريكي، جامعة الملك سعود/ الرياض، ١٩٩٧م.
٥. التحليل النقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، منية عبيدي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠١٦م.
٦. الخطاب، سارة ميلز، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة/ القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.
٧. في اللسانيات المعاصرة التواصلية والتداولية ومعايير النصّ القرآنية، صالح هادي القرشي، ط١، بغداد، ٢٠١٨م.
٨. في تحليل الخطاب، حاتم عبيد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٣م.
٩. المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، بول بيكر وسيبونيل البيج، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض/ السعودية، ١٤٣٩هـ.
١٠. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو - دومنيك منغون، ترجمة: عبد القادر المهيري - حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.
١١. مقالات في التداولية والخطاب، عمر بلخير، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو/ الجزائر، ٢٠١٣م.
١٢. من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب رؤية في توظيف اللغة أداة للتغيير والتطوير، عبد الله بن محمد المفلح، دار كنوز المعرفة، الأردن/ عمان، ٢٠١٧م.